الأفعـــال الكلاميـــة في الخطبـــة الفدكيّـــة للســـيدة فاطمـــة الزهراء(عليها السلام)

م. د. أسماء عبد الحسين علي كلية الآداب/جامعة القادسية
asmaa.abdulhussein@qu.edu.iq

الملخص

تأتي أهمية دراستنا هذه من الوقوف على نص من نصوص التراث العربي الرصين، الذي صدر من معصومة- وهي سيدة نساء العالمين فاطمة بنت نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم -حينما خطبت بجمع من المسلمين مطالبة بحقها في (فدك) الأرض التي نحلها رسول الله (ص) إيّاها، بخطبة بليغة أسكتت خصومها وأدمعت عيون المسلمين، مستندة إلى الأدلة والبراهين في احتجاجها.

في هذه الخطبة ظهرت أساليب الحوار وعناصر الخطاب والموقف التواصلي الذي كشفه السياق، وقد أظهر البحث ما تقوم به الخطبة من أفعال إنجازية حجاجية، والأثر المترتب عليها، فبرزت وظيفة الخطاب على تعدد أساليبه وتنوعها للتأثير في المخاطبين، وإيصال الرسالة التي أرادتها الزهراء للعالم؛ لتبين مظلوميتها.

فكانت هذه الدراسة تطبيقاً للتحليل التداولي في النص النثري، لنجد تآزر الأفعال الكلامية في الكشف عن مكنونات النص للاتصال اللغوي الإنساني.

الكلمات المفتاحية: التداولية- فاطمة الزهراء- فدك- الأفعال الكلامية

The Speech Acts in the Fadak's declamation of Lady Fatima Al-Zahra (peace be upon her(

Asst. Prof. Asmaa Abdul Hussein Ali
college of Literature/ Al-Qadisiyah University
asmaa.abdulhussein@qu.edu.iq

Abstract :
The importance of our study dealing with the examining a text from the texts of the solid Arab heritage, which was issued by the infallible one, the Lady of the Women of the Worlds, Fatima, daughter of our Prophet Mohammed, may Allah bless him and his family and grant them peace. She addressed a gathering of Muslims, demanding her right to (Fadak's Land) the land that the Messenger of Allah (may Allah bless him and grant him peace) had previously granted to her, in an eloquent speech that silenced her opponents and brought tears to the eyes of Muslims, relying on evidence and proofs in her argument .
In this speech, the methods of dialogue, the elements of discourse, and the communicative situation revealed by the context appeared. The research showed the persuasive and performativity activities of the speech and the resulting impact. The function of the speech emerged through the definition of its methods and their diversity, influencing the addressees and conveying the message that Al-Zahra wanted to the world, revealing her injustice.
This study was an application of pragmatic analysis in the prose text, to find the synergy of speech acts in revealing the contents of the text for human linguistic communication.
Keywords: Pragmatics Fatima Al-Zahra Fadak Speech Acts

التمهيد: في فدك والأفعال الكلامية

فَدَك إرث الزهراء

فدك قرية تقع في الحجاز وتبعد عن المدينة فراسخ عدة، بينها والمدينة يومان، كانت فيها مزارع وبساتين لليهود(الاميني، 2004، 125) وبعد إن " فرغ رسول الله (ص) من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا الى رسول الله (ص) فصالحوه على نصف منها فقبل منهم ذلك، وكانت فدك لرسول الله (ص) خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب(الاميني، 2004، 125) في أرض واسعه وتدر أرباحا كثيرة، إذ كان رسول (ص) ينفق منها في سبيل الله على المقاتلين، وقد منح رسول الله فدك للزهراء (عليها السلام) فعن" أبي سعيد الخدري قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) قال رسول الله (ص) (يا فاطمة لك فدك) (الاميني، 2004، 125) ولما توفي رسول الله مُنعت الزهراء (ع) حقها في فدك مع أن الرسول" قد أنحل بضعته الزهراء (عليها السلام) فدك، وأنها كانت في يدها حتى انتزعت منها، وإن فدك لا علاقة لها بقضية المطالبة بالإرث، إذ الزهراء طالبت بفدك كنحلة وهبة من أبيها، وبالتالي هي تطالب بملكها المسلوب ، وحقها المنتزع وان كانت عليها السلام قد عممت مطالبتها لتشمل إرثها وحقوقها الخاصة من تركة ابيها رسول الله (ص) المسلوبة ايضا"(حمادي، 2005م، 8) وفي بداية الأمر مُنِع وكيل الزهراء في فدك بدعوى إن هذا فيء للمسلمين، لذلك جاءت الزهراء (ع) محتجة، وطُلب منها أن تأتي بشهود يشهدوا لها بفدك فجاءت بأم أيمن وزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وقُبلت الشهادة في البداية ثم تمّ رفض إعطاء فدك لها عليها السلام، (الطبرسي، 1992م، 235/1، 236) فما كان من الزهراء (عليها السلام) إلا أن تستبسل برد حقها المغتصب وتخطب في المسجد في جمع من المسلمين.

الأفعال الكلاميّة

الأفعال الكلامية من أبرز القضايا التداولية وأحد مفاهيمها، ظهرت ضمن المحاضرات التي ألقاها (جون أوستين) الأستاذ في فلسفة اللغة في محاضراته التي ألقاها على طلبته في جامعة أكسفورد في انكلترا في الخمسينات في القرن العشرين، ردًا على الفلاسفة الوضعيين المنطقيين، المهتمين باللغات الصورية، مستبعدين اللغة العادية من الدراسة، وكانت وظيفة اللغة لديهم هو مجرد الوصف لما يجري بالواقع، وبعد وفاة (اوستين) جاء تلميذه (سورل) ليضع أسسا غير التي وضعها اوستين لهذه النظرية، وأطلق عليها (أفعال الكلام) وقد اختلفت التعريفات لدى الدارسين الغربيين للأفعال الكلامية بسبب اختلاف المرجعيات التي بدأوا منها ، يقول (فان ديك) "وما نعنيه بقولنا إننا نفعل شيئا ما متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعد وعداً ما، ونطلب، وننصح، وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه (أفعال الكلام)" (فان ديك، 2000، 263)

كانت أفكار أوستين قائمة على أمرين:

الأول - رفضه لثنائية الصدق والكذب

الثاني - أن القول لديه عبارة عن فعل ما أو عمل وصنف الجمل أو الأفعال على(نحله، 2002، 44):

1- الاخبارية: - وهي إما صادقة او كاذبة، بحسب الواقع ومطابقتها له، وأطلق عليها (الوصفية)

2- إنجازية: - وهي التي تنجز فعلا بمجرد ان ننطق بها. (اوستين، 1991، 1/ 16، 17) فلا توصف بالصدق او الكذب، وأما أن تكون موفقه أو غير موفقة، ووضع للموفقة منها شرطين(نحله، 2002، 44، 45) هما:

1- الشروط التكوينية، وتعني أنها تتم بوجود الاجراء العرفي المقبول كالزواج، ويتم هذا الاجراء بنطق كلمات محددة، ويكون الافراد مؤهلين للتنفيذ الصحيح الكامل.

2-الشروط القياسية: - وهي تختص بالمشارك فيها، اذ تتطلب أن يكون المشارك بالإجراء صادقا بأفكاره، ومشاعره، ونواياه، وأن يلتزم بما يلزم به نفسه.

ومخالفة الشروط القياسية تسبب سوء الاستعمال

وجعل أوستين الأقوال الإنشائية على نوعين(اوستين، 1991، 1/ 87)

1- الصيغة الإنشائية الاصيلة (سأكون هناك): - التي قد تدل على الوعد او لا تدل.

2- الصيغة الإنشائية الصريحة (اعد بان سأكون هناك):- في هذا القول تظهر الدلالة على الوعد فقط ولا يوجد احتمال آخر.

وبعد ذلك لاحظ اوستين أن هناك عبارات تكون فيها الصيغة الإخبارية والمعنى الإنجازي، ولذلك رأى ان الفعل الكلامي يتكون من ثلاثة أفعال، لا يمكن الفصل بينها(اوستين، 1991، 1/ 116، 120) وهي: -

1- الفعل اللفظي:- يتكون من أصوات لغويه منتظمة بتركيب نحوي صحيح ينتج معنى وله مرجع.

2- الفعل الانجازي: - ويقصد به الغرض وما يؤديه اللفظي من وظيفة.

3- الفعل التأثيري: - ما يحدثه الفعل الإنجازي من أثر في المخاطب.

وقد عدّ أوستين الفعل الإنجازي أهمها جميعا، لأن الفعل التأثيري لا يلازم جميع الافعال ولذلك سميت النظرية أيضا بنظرية الفعل الإنجازي، وعلى أساس القوة الإنجازية للأفعال قدّم اوستين خمسة أصناف(فيليب، 2007، 62)

1- أفعال الاحكام: وهي تعبر عن الحكم.

2- أفعال القرارات (التنفيذ): وهي تعبر عن اتخاذ القرار.

3- أفعال التعهد (الوعد): تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء.

4- أفعال السلوك: تعبر عن مواقف الآخرين وردود افعالهم.

5- أفعال الايضاح (العرض): تستعمل لتوضيح الرأي او وجهة النظر وذكر الحجة

وعلى الرغم مما قدمه اوستين إلا أنه خلط بين مفهوم الفعل بعدِّه قسما من أقسام الكلام والفعل على أنه حدث اتصالي، فتداخلت الأفعال لديه، الا أنه ميز بين أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أدائه، وميز بين معنى الجملة وما يعنيه المتكلم عندما ينطقها، وميز بين الافعال الادائية الصريحة والأوّلي منها، وحدد الفعل الانجازي وهو المفهوم المحوري لنظريته، وبعد ذلك جاء تلميذه سيرل (نحله، 2002، 71) ليكمل المرحلة الاساسية للنظرية إذ رأى أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية ويمكن تحديد هذه القواعد بأسس منهجية متصلة باللغة(نحله، 2002، 72) إذ جعل الفعل على أربعة أقسام:

أ- اللفظي وينقسم على قسمين:

1- الفعل النطقي: ويشمل الجانب (الصوتي، النحوي والمعجمي)

2- الفعل القضوي: ويشمل المرجع (المتحدث عنه) والخبر (المتحدث به) ويستعمل دائما مع الفعل الإنجازي؛ إذ لا يمكن ان ننطق بالفعل القضوي من دون المقصد من نطقه والفعل الإنجازي يمثل الوحدة الصغرى في الاتصال اللغوي.

ب- الانجازي: وهو مثل ما ذكره اوستين

ت- التأثيري: لم يختلف عما ذكره اوستين

ورأى سيرل أن الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، وقام بتطوير شروط الملاءمة أو التكوينية لدى اوستين، وجعلها اربعة شروط ناتجة وطبقها على الأفعال الانجازية، كأفعال الرجاء والاستفهام، والشكر، والنصح، والتحية، والتحذير.... وهي(نحله، 2002، 75).

1- شرط المحتوى القضوي: وهو ما يطلب في المستقبل من المخاطب من فعل.

2- الشرط التمهيدي، يتمثل بقدرة المخاطب على انجاز الفعل والمتكلم موقن بقدرة المخاطب على الانجاز، وانجاز الفعل المطلوب من المخاطب ليس واضحا عند المتخاطبين.

3- شرط الإخلاص: إرادة المتكلم الحقيقية بإنجاز المخاطب لذلك الفعل

4- الشرط الاساسي: محاولة المتكلم للتأثير في المخاطب

وقد بين (سيرل) أن الأفعال الانجازية تختلف في أغراضها وفي اتجاه المطابقة، فالإخباريات يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، أما في بعض الأفعال الانجازية الأخرى كالوعد يكون الاتجاه من العالم إلى الكلمات. وتختلف الأفعال الإنجازية في الموقف النفسي للمتكلم، وفي القوة التي يعرض بها الغرض من الفعل الإنجازي، كذلك يقع الاختلاف في المنزلة بالنسبة للمتعلم والسامع، وفى طريقة الارتباط بين القوى واهتمام المتكلم والسامع، والاختلاف في السياق الذي يقع الفعل منه، والإحالة إلى ما قبله وبعده من الأقوال كذلك الاختلاف قد يكون في المحتوى القضوي وما يقتضيه الفعل من عرف غير لغوي او لغوي، وقابلية الافعال على الاداء مثل أعد، وأقرر، واستنتج، إذ إن هناك أفعالا لا يمكن تأديتها بالقول فقط. وكذلك قد تختلف في الأسلوب في تأدية الفعل، أما الاسس المنهجية التي بنى عليها سيرل الأفعال الإنجازية، فهي(نحله، 2002، 78)الغرض الإنجازي

أ- اتجاه المطابقة

ب- شرط الإخلاص

وقد جعل الأفعال الإنجازية خمسة كأوستين(نحله، 2002، 98-104).

1- الاخباريات (التقريريات): والغرض منها هو نقل واقعة ما، وتحتمل أفعالها الصدق والكذب، أما اتجاه المطابقة فيكون من الكلمات إلى العالم الخارجي (الواقع)، ويشمل الإيضاح

2- التوجيهات (الطلبيات): الغرض الإنجازي منها محاولة المتكلم توجيه المتلقي (المخاطب) الى فعل ما، أما اتجاه المطابقة يكون من العالم الى الكلمات، وتتطلب شرط الإخلاص الذي يتمثل بالإرادة، أما محتواها القضوي فهو أن يفعل السامع شيئا في المستقبل.

ويشمل (الاستفهام، والرجاء، والأمر، والدعوة، والإذن والتشجيع، والنصح، والتحدي، وأفعال القرارات) ويحاول المتكلم التأثير في السامع

3- الالتزاميات (الوعديات): والغرض الإنجازي فيها التزام المتكلم بفعل ما في المستقبل.

واتجاه المطابقة من العالم الى الكلمات، مثل التوجيهات ويتوافر فيها شرط الاخلاص الذي يمثل بالقصد، والمحتوى القضوي فيها أن يفعل المتكلم شيئا في المستقبل. والمرجع في الالتزاميات المتكلم بخلاف التوجيهات إذ إن مرجعها المخاطب.

4- التعبيريات (الافصاحيات): غرضها التعبير عن موقف نفسي للمتكلم، يتوافر فيها شرط الإخلاص ، واتجاه المطابقة معدوم فيها إذ لا يحاول المتكلم جعل الكلمات تتطابق مع العالم الخارجي وتشمل أفعال الشكر، والاعتذار، التعزية.

5- الإعلانيات (التصريحيات) ويتمثل نجاح هذه الافعال بمطابقة المحتوى القضوي فيها للعالم الخارجي " فإذا أديت أنا فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد... وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات الى العالم ومن العالم الى الكلمات، ولا يحتاج الى شرط الاخلاص"(نحله، 2002، 80).

وقد ميز سيرل بين الأفعال الإنجازية المباشرة، وغير المباشرة ويعني بالمباشرة التي تطابق قوتها الإنجازية لمراد المتكلم، أما غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية لمراد المتكلم

" فالافعال الانجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الانجازي الحرفي، وانما الزيادة فيما اطلق عليه سيرل معنى المتكلم"(نحله، 2002، 82).

ويمكن التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة بفروق عدة(نحله، 2002، 22، 23) منها أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تبقى ملازمة لها في مقامات مختلفة، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية (غير المباشرة) فتوكل إلى المقام الذي هي فيه.

إن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة أيضا يمكن الغاؤها ولا يتوصل إليها إلا عبر الاستدلال بعمليات ذهنية بحسب البساطة والتعقيد، أما المباشرة فتؤخذ من العبارة نفسها، وبين (سيرل) أن نوعا من الأفعال الكلامية غير المباشرة يرتبط بالاستلزام الحواي، واليوم أصبح نظرية متكاملة بإطار التداولية، والفعل الانجازي غير المباشر محول عن فعل إنجازي مباشر(نحله، 2002، 22، 23)

الأفعال الكلامية في الخطبة الفدكيّة

1- الأفعال الإخبارية (التقريريات)

ونجد هذه الأفعال في:

1- الثناء على الله سبحانه وتعالى وحمده.

2- الثناء على النبي محمد (ص)" الحمد لله على ما انعم ... والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها "(الطبرسي، 1992م، 256/1)

ثم ذكرت الشهادة وتشهدت ثم قالت "كلمة جعل الإخلاص تأويلها....." (الطبرسي، 1992م، 256/1)

إذ تضمنت الخطبة أفعالا كلامية إخبارية عن نعم الله التي أنعم بها على الإنسان والتي لا يمكن عدها، ثم تطرقت عليها السلام إلى الشهادة بوحدانية الله فبدأت بنطق الشهادة، "وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها واذا تأملنا في الأفعال التي وردت في هذا الموضع وجدناها قد وردت بصيغة الماضي وهي (جعل، ضمن، أنار، انشأها، كونها، ذرأها، وضع) ولم يرد فعل مضارع في هذا الموضع

وهذا يؤكد الغرض الذي كان وراء الكلام هو ذكر آلاء الله في خلقه، والإخبار من الأحداث الماضية، والفعل الماضي يفيد التقرير فلذلك ناسب السياق إضافة إلى أن الأفعال بعمومها تدل على الحركة والتجدد. والأفعال عموما متضمنة القوة في القول، ولها بعد تداولي.

وهذا ما نجده ايضا في "وأشهد أن أبي محمدا النبي الأميّ صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه"(الطبرسي، 1992م، 256/1)

أيضا وردت الأفعال جميعها بصيغة الماضي. ففيها تقرير وتأكيد وإذعان من قبل المتخاطبين.

فالفعل القضويّ في النص الأول يعبر عن الثناء على الله عز وجل، بنعم قد سبقت البشر. وكرمه السابق من دون انتظار لجزاء المخاطب سواء وقد اقتصر (حمدلله) على ما انعمه على الانسان وربما يكون البعد التداولي وراء هذا المحتوى اذ انها (عليها السلام) في صدد تذكير المخاطبين بما تفضل به الله عليهم، ثم بعد ذلك تنتقل لما من به الله عليهم بابتعاث رسول الله (صلى الله عليه واله)، لتلزمهم الحجة الشرعية لأن ما ينطق به رسول الله هو من الله عزو وجل، ثم لتثبت شرعية امتلاكها لفدك، وتؤنبهم لأنها قد وضعت بهذا الموقف لإثبات ملكيتها (ع) لفدك التي ملكها رسول الله في حياته لها حتى أنها قد وضعت عاملا

على فدك يقوم بها ويعطي للزهراء (ع) أموالها وعندما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى سُلبت فدك من الزهراء (ع)، وقد احتُجّ عليها بالحديث الموضوع عن رسول الله "نحن معاشر الانبياء لا نورث" (المجلسيّ، 2001م، 12/373-462)

و"إن أي قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريرات والشرط المعد للجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي والحالة النفسية التي تعتبر عنها التقريريات هي: الاعتقاد" (الطبطبائي، 1994، 30).

فما اعتقدته الزهراء قد بثته في كلامها إذ نلحظ أن الأفعال الإخبارية شكلت قوة إنجازية، وفي ذلك يقول سيرل أن اللفظ قد مُلئ "بقوة إنجازيه معينة والقوة التعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا" (مفتاح، د.ت، 140) فالتقرير يحمل قوة إنجازية تعبيرية. إذن القوة المتضمنة في الأفعال الواردة هي إنجاز لأعمال (التفضّل، الندب لشكر النعم، عظمة الخالق وقدرته ومشيئته).

والفعل الناتج عن هذه الأقوال هو إحداث أثر في نفوس المستمعين، لشكر الله في عظيم قدرته ومشيئته، وامتنان المخاطبين لبعث الله تعالى رسوله الكريم ليتم عليهم نعمته، إذ تقول الزهراء (ع) "فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بُهما..." (الاميني، 2004، 125)

فالزهراء (ع) قد ذكرت جزءاً من هذه النعم (من عموم نعم قد ابتدأها)

أما اتجاه المطابقة فالتقريرات يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات الى العالم الخارجي، اما الأفعال التعبيرية فيكون من العالم الى الكلمات، وقد جمعت الزهراء(ع) بين هذين الفعلين في آن واحد (الاخبارية والتعبيرية) إذ أخبرت وأفصحت في آن واحد؛ لتعبر عن عقيدتها، وقد توافر فيها شرط الإخلاص، وقد عبرت (ع) عن ذلك صراحة فلازم الشهادة بالوحدانية لله هو الإخلاص قولها (ع) (وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له. كلمة جعلَ الإخلاص تأويلها) (الطبرسي، 1992م، 1/255) ثم أخبرت عن صفات الله

وعلاقته بخلقه، فشروط الأفعال الإخبارية قد تحقق من شرط المحتوى القضوي وهو الشهادة وحقيقتها، وفطرة التوحيد التي أودعها في قلوب عباده، والقضية التي مثلت المعرفة بالتوحيد العقلي .

وإن هذا التعهد الذي أطلقته الزهراء بالشهادة بصورة غير مباشرة ما هو إلا الشرط الأساس للفعل الكلامي الناجح إذ كانت مقالتها بمثابة التعهد بصدق القضية، وهذا ما ذكرته (ع) مع أبيها (ص)، أيضا بدأت بالشهادة ثم بينت وأخبرت عن سبب بعثته (ص) " ابتعثه الله اتماما لأمره، وعزيمة على امضاء حكمه... فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وأله وسلم ظلمها"(الطبرسي، 1992م، 257/1) وقولها (أشهد) فعل مضارع مسند إلى المتكلم (فاعلها والسياق هنا هو سياق مدح وافتخار في ذلك إشارة اجتماعية "وأشهد أن أبي محمداً (النبي الأمي) صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله"(الطبرسي، 1992م، 256/1) إذ بينت درجة القرابة وهذا تأكيد من الزهراء على قربها من الرسالة لترسخ في عقول الحاضرين أن المتحدثة ابنة رسول الله (ص)، وفي هذا توبيخ لهم، لمّا وافقوا على سحب فدك منها (ع).

ب- وصف الجالسين (الإخبار عنهم)

وتمثّل ذلك بقولها (ع) "وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، موطئ الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتي"(الطبرسي، 1992م، 256/1)

فالأفعال صادقة، إذ هي مطابقة للواقع، واتجاه المطابقة من الكلمات الى الواقع إذ عبرت الزهراء (عليها السلام) عن الواقع بصدق ومعقولية ليتمكن المستمعين من تفهم ما تطرحه، إذ إن "المتكلم يجب أن تكون له نية توصيل مضمون قضوي حقيقي لكي يتمكن المستمع من مشاطرة معرفته وعلى هذا

المتكلم أيضا أن يعبر بصدق لكي يتمكن المستمع من تصديق تلفظ المتكلم" (الطبرسي، 1992م، 1/260-262)

وقد استحضرت الزهراء (ع) ذلك الواقع الذي كانوا عليه قبل بعثة النبي،

فالفعل النطقي (فعل القول) هو قولها (ع) (كنتم على شفا حفرة) وهي جملة اسمية نُسخت بـ(كان) واسمها الضمير المتصل (أنتم)، والفعل القضوي: كان فيه فعل الإحالة الضمير المتصل (انتم) في قولها (كنتم) ويحيل الى المخاطب (وهم الجالسون)، الذين حضروا في المجلس.

- أما المتكلم فليس في هذه الفقرة ما يحيل إلى الزهراء عليها السلام، فهي بصدد الحديث عن دور النبي فيهم

- العبارة: تمثل فقل القول (كنتم على شفا حفرة) جملة اسمية منسوخة

- والقصد التواصلي: هو شد المخاطب الى المتكلم مراعية (ع) مقتضى السياق وهو التذكير بحالهم قبل البعثة - وهم مغلوبون أذلاء

أما الإسناد فهو (المسند) والمسند في قولها (ع): كنتم على شفا حفرة من النار، هو (على شفا حفرة) الواقعة خبرا لكان وكل ما جاء بعدها (مذقة الشارب) أي شربته (نهزة الطامع) أي فرصته و(قبسة العجلان) هي أخبار لانها تصلح بدلا من الخبر أي كنتم مذقة الشارب ونهزة الطامع...

وقد استعانت الزهراء (ع) بالآية وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، لتؤكد على صحة ما تقول، فتذكرهم، وقد أكد سيرل ذلك في الإخباريات والتقريريات إذ قال " إن أي قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريريات والشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد" (الطبطبائي، 1994، 30).

وعليه فذلك تأكيد لما قالته الزهراء إنهم كانوا قبل بعثة النبي (ص) على شفا حفرة من النار أي يوشكون الوقوع في الموت وهم كفار اذلة يخافون من الناس فأنقذهم الله تعالى برسوله الكريم محمد (ص) وقد استعملت (عليها السلام)

الكتابة بقولها "فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ص) بعد اللتيا والتي" واللتيا الداهية الكبيرة العظيمة، وقد اعتادت العرب على تصغير الأمور العظيمة، والفعل الإنجازي هو التأكيد على دور رسول الله أبيها (ص) وإن كانت الأفعال غير مباشرة لصياغتها المجازية فلا يتنافى الفعلان في التأكيد بحسب مبنى سيرل أما الفعل التأثيري، فهو زيادة تعرف الحاضرين على مقام رسول الله ومقامها من رسول الله، وتضحيات رسول الله لهم وسنذكر جملة الإخباريات التي وردت على نحو الاجمال لأن غرضها واحد، وهي:

1- "وبعد أن مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله... أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها.." (الطبرسي، 1992م، 1/ 262)

2- "وانتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون..." (الطبرسي، 1992م، 263/1)

3- "فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ومأوى أصفيائه... ظهر فيكم حسكة النفاق..."(الطبرسي، 1992م، 263/1-264)

4-"ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا بل كان يتبع أثره ويقفوا سوره... "(الطبرسي، 1992م، 276/1-277)

وكانت الإخباريات من أكثر الأفعال الكلامية حضورا وربما يرجع ذلك إلى طبيعة القضية التي من أجلها خطبت الزهراء بالناس من مهاجرين وأنصار، فالخطبة كانت حول فدك التي وهبها رسول الله لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) في حياته، وبعدما تُوفي استُردت من الزهراء(ع) فلذلك عمدت الزهراء في معظم الخطبة إلى التذكير والتأكيد والتعريف والتقرير بصورة مباشرة وأخرى غير مباشرة لذلك السبب كانت الإخباريات هي الغالبة على سائر الأفعال.

2- التوجيهات (الأمريات والطلبيات)

وتتمثل في التوجيهات الطلبية التي يحاول المتكلم توجيه السامع أو التأثير فيه وإما أن يطلب الفهم فيه كالاستفهام أو يطلب فيه الإقبال كالنداء أو يطلب فيه الأداء أو الترك كالأمر والنهي وقد تكون التوجيهات نفسية تصدر عن المتكلم المنفعل نحو المتلقي ليحثه ويحرك مشاعره ليقوم بفعل إنجازي وقد تنوعت الأفعال الكلامية التوجيهية في الخطبة بين الأمر والاستفهام والنداء والنصح والتحذير والدعوة والتحدي ولكن النداء والاستفهام كانا من أكثر الأساليب ورودا وهذا ما سنقف عنده.

الأمر

ذكر الشاطبي أنه "استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"(السمعاني، 1997، 53/15) وصيغته الأصلية هي افعل ودلاله صيغته تكون على الوجوب مواكبة لسلطة الأمر المرسل ويفترض ان يكون الآمر أعلى من المأمور في الرتبة(الشهري،2004، 342).

ويذهب اوستين في اللسانيات الحديثة الى أن "من أرجح معانيه كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالته على الوجوب" ولتحقيق هذا المعنى لابد من اقتران الفعل بسلطة المرسل فاذا انعدمت سلطته خرج الأمر عن التوجيه إلى مقاصد أخرى تحدد بحسب السياق ولذلك لا يتحقق الأمر إلا بوجود الصيغة والسلطة(الشهري،2004، 341، 342) اللذين يحققان الوجوب للأمر(الشهري،2004، 342). فإن لم يتوافر لم يفد الأمر الا الطلب

ويفيد الأمر "التكرار بمجرد التلفظ به... ومن مميزات استعمال الفعل الإنجازي، كالأمر مثلا، إمكان دلالته على التوجيه بدوام السياق الاصلي" (الشهري،2004، 342)

في اللسانيات الحديثة نجدهم قد عدوا مسألة الامر مسألة لغوية تداولية" إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد بل أن تعضده مرتبة المرسل، لأنها هي التي تحوّل دلالة الصياغة من الأمر الى غير ذلك)) (الشهري،2004، 342)

وقد ورد الأمر في الخطبة الفدكية بصورة اسم الفعل وهو ((دونك)) في قولها عليه السلام وهي تخاطب الذين سلبوها فدك

أذ ذُكرت الصيغة مرتين "فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك"(الطبرسي، 1992م، 268/1)

وقولها عليها السلام "فدونكموها فاحتقبوها، دبرة الظهر، نقبة الخف، باقيه العار، موسومة بغضب الجبار"

ويبدو أن الزهراء عليها السلام قد استعملت صيغة الأمر للإلزام والاخذ والتوجيه والارشاد

اما الالزام فلأن الصيغة متوافرة (دون) اسم فعل الامر واما السلطة فقد قلنا سابقا إن السلطة لا تقتصر على المعنى التقليدي لها، بل تتضمن سلطة العلم والمعرفة والزهراء عليها السلام قد أحرزتها، فلذلك وجبت الطاعة والانقياد لها على مَن ألقت عليه الخطبة وكان جالسا

وقد تضمنت هذه الصيغة إضافة إلى ما سبق معاني أخرى وهي التوجيه والإرشاد الى ما فيه من مصلحة دنيوية. كذلك شملت الندب، فقد ندبتهم الزهراء لاسترداد حقها الشرعي في امتلاك فدك ولذلك لزم عليهم مناصرتها "فالندب توجيه الى ما يرجى به ثواب الأخرة" (الطبرسي، 1992م، 274/1)

وقد ذكر النحاة أن في أسماء الافعال" إرادة الايجاز والمبالغة في المعنى فنزال أبلغ في المعنى من انزل وتراك أبلغ من اترك وإنما غير لفظ الفعل الواقعة هذه الأسماء موقعه ليكون ذلك أدل على الفعل وأبلغ في إفادة معناه"

فالفعل الإنجازي هو طلب الأخذ والتمسك بتوجيه الزهراء (فدونكها مخطومه) (دون) اسم فعل أمر يأتي بمعنى خذ كذلك يأتي بمعنى (الزم) والغرض منها الإغراء فنقول: دونك زيدا، اي بمعنى الزم زيدا.

أما (مخطومة مرحولة) فتعني بالخطام" كل ما وضع في أنف البعير ليُقاد به... وناقة مخطومة ونوق مُخطَّمه شُدّد للكثرة»(ابن منظور، 1982، 185/12)

اما الرحل: فيشمل كل ما يعد للرحيل من متاع ومركب على البعير(ابن منظور، 1982، 265/11) وتعني عليها السلام خذها منضبطة ومهيأة.

فالقوة الإنجازية لهذا التعبير كان فعلا كلاميا غير مباشر وهو تشبيه فدك بالناقة المهيئة للركوب منقادة إلى صاحبها، أما الفعل التأثيري بيان المتكلم للسامع مدى خطورة الفعل الذي أقدموا عليه اذ توعدتهم الزهراء عليها السلام بسوء العاقبة التي سيلقوها من الله سبحانه وتعالى ومن الرسول صلى الله عليه وآله.

واتجاه المطابقة يكون من العالم الى الكلمات، كما أن سيدة نساء العالمين لا تحتاج الى شرط الاخلاص فهي الصادقة المحدثة عن رسول الله صلى الله عليه واله

والمحتوى القضوي لاسم فعل الأمر (دونك) المضافة إلى ضمير المخاطب فهو أن يلتفت السامعون الى خطورة الأمر واستدراك ذلك لدرء الظلم الذي وقع على الزهراء فمثلها عليه السلام لا يعامل بمثل تلك المعاملة وقد ظُلمَت حقها فكيف بالباقين من عامة الناس إذ أرادت الزهراء ايقاظ الحاضرين لكي يثوروا على الظلم.

نصوص النداء والاستفهام

ورد الاستفهام المسبوق بالنداء فكان الاكثر حظا في الخطبة الفدكية، وهما من الاستراتيجيات التوجيهية، وسنذكر الموارد التي وردا فيها معا، أو منفردين:

"أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم" (ابن منظور، 1982، 265/11)

"وكيف بكم وأنى تؤفكون؟ "(الطبرسي، 1992م، 259/1)

"أرغبة عنهم تريدون أم بغيره تحكمون؟ " (الطبرسي، 1992م، 265/1)

"وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا فحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما"(الطبرسي، 1992م، 265/1)

"أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا" (الطبرسي، 1992م، 267/1)

أفخصّكم الله بآية اخرج ابي منها؟ أم هل تقولون إنا أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي"(الطبرسي، 1992م، 267/1)

يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الاسلام، ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»" (الطبرسي، 1992م، 269)إيهاً بني قيلة، ءأهظم تراث ابي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟" (الطبرسي، 1992م، 271/1)

فأنى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الاعلان؟ ونكصتم بعد الاقدام؟ واشركتم بعد الإيمان؟"(الطبرسي، 1992م، 272/1)

«أفتجتمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور والبهتان»(الطبرسي، 1992م، 277/1)

النداء

النداء هو تصويت المتكلم "بمن تريد إقباله عليك"(ابن الخباز، 1991م، 512/2). وقد عدّه البصريون من (المفعولات). أما العامل فيه فهو فعل مضمر يُقدّر بالفعل (أدعو) أو (أنادي)

ولكون النداء "يحفز المرسل اليه لردة فعل تجاه المرسل"(الشهري،2004، 36) فهو من الطلبيات.

ويلجأ المتكلِّم إلى استعمال النداء، لما فيه من دَور "التنبيه وتعيين المخاطَب"(الشاوش، 2001م، 679/2) وصونًا لذلك، فالنداء ليس أسلوبًا لغويًا فحسب، بل تداولي ايضا.

وقد ورد النداء في الخُطبة بصيغ مثل: (أيها الناس)، (أيها المسلمون)، (يا معشر النقيبة)، (ايها بني قيلة)

وقد استعملت الزهراء النداء على الرغم من أن الخطاب كان موجها للحاضرين وقد يغني عن النداء. ولكنها آثرت استعمال النداء لما يستدعيه من "طلب حضور الذهن لوعي الكلام"(الطاهر، 1984، 54/21) ويضمن استمرار التواصل بين المتكلم والمتلقي وقد تنوع النداء فتارة يمثل الجميع فتستعمل (الناس) وتارة تخص الأنصار (يا معشر النقيبة) وتارة تنادي الأوس والخزرج بقولها (بنو قيلة) وهما قبيلتا الأنصار. وكثيرا ما شفعت -ع- النداء باستفهام إذ استوقفتهم عليها السلام ثم سألتهم متعجبة ومحذرة لهم مما هم فيه، وسنقف عند ذلك

ولم يستعمل النداء هنا بحقيقته، وهي طلب الإقبال، بل للتنبيه فهو فعل إنجازي لغوي، فالتعريف في (الناس) أرادت الناس عامة، أي ليس الحضور فقط، بل أرادت الحاضرين والاجيال التي تأتي لاحقا أيضا.

ويدرس سياق النص في قولها -ع -" أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد "(الطبرسي، 1992م، 259/1) أحالت الزهراء على التنبيه عن نسبها ثم خصصت "أيها المسلمون أأغلب على إرثي يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي.." (الطبرسي، 1992م، 267/1)

هنا أرادت التنبيه على نزع الإرث عنها (فدك) ثم نادت مرة أخرى لاستنهاض الأنصار من الأوس والخزرج معاتبة وموبخة لهم "يا معشر النقيبه

وأعضاد الملة... سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول. ." (الطبرسي، 1992م، 269/1)

فالقصد التواصلي للمتكلم كان متناسبا مع السياق والسياق هنا سياق تنبيه وتقريع

وفعل الإسناد هو (أدعو) الذي يقدر في النداء المسند الى المتكلم الزهراء (عليها السلام).

والفعل الإنجازي جاء مباشرا مطابقا لفعل القول (النطقي) إذ أرادت استنهاضهم للمطالبة بفدك ومن ثم بإرجاع الخلافة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أما الفعل التأثيري فتمثل بانسياق الرأي العام لصالح فاطمة الزهراء عليها السلام وإحراج الغاصبين

الاستفهام

والاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، وتعني" طلب فهم الشي واستعلام ما في ضمير المخاطب، أو طلب حصول صورة الشيء في الذهن"(نكري، 2000م، 1/ 72)، والاستفهام الحقيقي عندما يجهل المتكلم المعلومة التي يسأل عنها، أما إذا كان يعلمها فعندها يكون الاستفهام مجازيا فيكون معناه بحسب السياق.

من معانيه «التقرير، الانكار، التعجب، التكثير، التنبيه، الترغيب، النهي، الدعاء، التمني، الاستبطاء، التعظيم، التحقير، والاكتفاء، والابتعاد، والتهكم، والاستهزاء، والتأكيد، والتسوية، والانكار التوبيخي، والاستفهام الانكاري»(الكفوي، د.ت، 985)

وقد ورد الاستفهام بالهمزة أكثر من غيرها من الأدوات في الخطبة الشريفة؛ وفي ذلك إشارة الى القرب المكاني من الحاضرين.

وقد ورد بـ(كيف) مرة وب- (أي) التي معناها (اين) او (كيف) مرة واحدة.

والاستفهام فعل كلامي (إنجازي) جاء في الحطبة مستلزما الإنكار، والتعجب من موقفهم مما يحصل مع الزهراء وسلب حقوقها في قولها "أفحكم الجاهلية تبغون... أفلا تعلمون؟! بلى، قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أنّي ابنته "(الكفوي، د.ت، 267/1)

أو قولها "أم هل تقولون: إنّ أهل الملتين لا يتوارثان؟؟ أولست أنا وأبي من ملة واحدة؟"(الكفوي، د.ت، 268/1) منكرة متهكمة مستهزئة، من موقفهم فلا تريد منهم جوابا وإذا عدنا إلى سياق النص نجد ذلك المقطع انتهى بالوعيد" فنعم الحكم الله والزعيم محمد"(الكفوي، د.ت، 268/1)

فقد توعدتهم بعدالة الآخرة وأنهم سيسألون عن تخاذلهم عندما يرون العذاب بقولها "وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم"(الكفوي، د.ت، 268/1)

فالقوة الإنجازية للاستفهام في عموم الخطبة هي الاستنكار والتوبيخ وقد استعملت الحوار او المساءلة وكثيرا ما استعملت التمثيل لتقريب الحقيقة كما في قولها "فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك"(الكفوي، د.ت، 268/1) وهي الناقة التي يوثق فمها لتقاد بحبل قوي يشد على ظهرها الرحل.

وقد تكرر الاستفهام للتأكيد على حقها المغتصب.

واتجاه المطابقة هنا من العالم الى الكلمات فقولها عليه السلام "أفخصكم الله بآية اخرج أبي منها؟ أم هل تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القران وعمومه من أبي وابن عمي فدونكها مخطومة مرحولة"(الكفوي، د.ت، 268/1)

فالفعل القضوي نجد فيه فعل الإحالة بالنسبة للمتكلم (ياء المتكلم) في (أبي)(وأنا) فهي تحيل إلى الزهراء عليها السلام أما ضمير المخاطب فتمثل بواو الجماعة (تقولون)(أنتم) وهي تمثل الحاضرين جميعا أما الضمير في (فدونكها) فقصدت بها تسليم فدك.

وفعل القول هو الاستفهام المكرر، لا لجهل للمعلومة، بل أرادت محاججتهم بالقرآن ومعرفة خصوصه وعمومه فعندهم يهبط الوحي، لذلك فالقوة الإنجازية في الاستفهام غير المباشر فهو إعجازي أرادت به استنكار فعلهم فهو استفهام استنكاري لمحاججتهم لها عليها السلام بالقرآن (سوره النمل 16) وقد تلتها الزهراء في الخطبة مع آيات أخريات وهي:

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً}(سوره مريم 6)

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(سوره الأنفال 75)

{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}(سوره النمل 16)

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}(سوره البقرة 180)

فلم تسأل الزهراء لطلب الجواب بل أرادت نفي وقوع الحديث واستحالته وهو " نحن معاشر الأنبياء لا نورث"(الطبرسي، 1992م، 276/1)وقد استندت الى النصوص القرآنية التي ذكرناها سابقا فالحديث موضوع ولم يصدر عن النبي (ص)؛ لقولها عليها السلام" أفتجمعون الى الغدر اعتلالا بالزور والبهتان"(الطبرسي، 1992م، 277/1)

اما الفعل التاثيري للاستفهام في هذا النص فيتمثل بنفي الفكرة ورفضها "وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من ابي ولا رحم بيننا(الطبرسي، 1992م، 268/1) وقد اقنعت المخاطبين مظهرة الاستغراب الذي جاء ممزوجا بالنفي.

3- الالتزاميات

التزام المتكلم بأن يفعل شيئا في المستقبل، واتجاه المطابقة من العالم الى الكلمات، يتوافر فيها شرط الإخلاص ويشترط فيها القصد، والإرادة والرغبة

الصادقة، فهي تمثل: أفعال الوعد، والوعيد، البشارة، التعهد، التهديد، الإنذار، والضمان، ويدخل القصد والتضرع في الوعد، المناصرة، والاقتراح، فيستعمل فيها الأفعال الكلامية مثل "سأبذل جهدي"، "اصرح عن قصدي" فهي إلزام لي، أي فعل المتكلم وليس المخاطب فهي تعهد المتكلم بالقيام بعمل ما، وهذه الأفعال كثيره في الخطبة الفدكية سنتناول نماذج منها، وهي: الإلتزاميات، التهديد، التوعد،

قولها عليها السلام "فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون".(الكفوي، د.ت، 268/1)

فهذا عهد من الزهراء وتهديد ينبا به مصيرهم المخزي، وهو إلتزام منها عليه السلام بأن هذه القضية ستطرح في عرصات القيامة وانهم سيخسرون فقد الزمت الزهراء نفسها بأن لها موعدا معهم في يوم القيام في استرداد حقوقها المسلوبة من قبل أهل الباطل وقولها "فدونكموها فاحتقبوها موسومة بغضب الجبار وشنار الأبد، وموصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تفعلون... وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعلموا إنّا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون"(الكفوي، د.ت، 268/1) ففعل القول هو قولها(ع): "انا ابنة نذير لكم...وانتظروا انا منتظرون"

والفعل القضوي يتضمن فعل الإحالة، اذ يحيل الى المتكلم بالضمير (انا) المنفصل و(انّا) (نا) المتصلة بحرف التوكيد (إن) فعل (منتظرون) وضمير المخاطب الكاف في (لكم) و(واو الجماعة) في انتظروا والعبارة هي "أنا ابنة نذير لكم.."

وأرادت الزهراء بذلك الخطاب بالتوعد للغاصبين والراضين بذلك، فسياق الخطبة كان للمطالبة بفدك، وقد عبّرت الزهراء عن مظلوميتها في سلبها حقها المشروع فتوعدت أهل الباطل بيوم القيامة، وهددتهم وكان هذا أمر الفعل الإنجازي توصلت الى هذا الفعل بالتواعد والتهديد "انتظروا انا منتظرون" وهو

فعل انجازي مباشر مطابق للفعل النطقي فعل القول ونجحت الزهراء في التاثير في الحاضرين إذ أجابها أبو بكر بأسلوب يغلب عليه الاستعطاف قائلا "يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما وانت يا خيرة النساء وابنة خير الانبياء صادقة في قولك... إني سمعت رسول الله ص يقول" نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة.." (الكفوي، د.ت،/ 275-276)

4- التعبيريات

تأتي التعبيريات للتعبير عن موقف نفسي للمتكلم، يشترط فيها الإخلاص والصدق، ولا يتوافر فيها اتجاه المطابقة. فهد معدوم، فالغرض منها "التعبير عما نشعر به من حالات نفسية (انفعالية) خاصة تجاه الوقائع الخاصة التي تمثل مضمون القول"(ميلاد،2001م، 507)

وهي تشمل الشكر والتهنئة والترحيب والاعتذار،(ميلاد،2001م، 507) والتعزية فلا تقتصر على المتكلم بل "يمكن أن تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل وتنعكس آثاره النفسية الشعورية على المتكلم" الصرّاف، 2011، 212)

ونجد التعبيريات في قولها (ع):

" ألا وقد قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي فأمرتكم والقدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيض، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة" وعنت (ع) بالجذلة"(جذل: أصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، (ابن منظور، 1982، 106/11) أي الأصل الخذلان الذي خالطهم، واستعملت الزهراء (ع) التشبيه في و"وخور القناة" ضعف الرمح(الخور: الضعف، (ابن منظور، 1982، 2062/4) إذ شبهت ضعف النفس عن الصبر على الشدائد بضعف الرمح (القناة: الرمح، (ابن منظور، 1982، 203/15)

فالفعل النطقي "قلت هذا على معرفة مني"

وكان القصد التواصلي واضحاً في سياق النص وهو اللوم والعتب على الأنصار إذ فيه إحالة على المخاطب في (خامركم) إذ أحالت على(بني قيلة) وهما الأوس والخزرج، أي الأنصار

فالفعل الانجازي كان فعلاً مباشراً، مطابقاً لفعل القول. أما الفعل التأثيرى: فقد نفّست الزهراء عن سخطها على الأنصار، وخذلانهم لها في قولها هذا.

ومن التعبيريات أيضاً قولها (ع) في التعجب من الرد عليها، إذ قالت (ع): "سبحان الله، ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجتمعون على الغدر اعتلالاً عليه بالزور..." ((الطبرسي، 1992م، 276-277

ففعل القول هو سبحان الله

أما الفعل القضوي فقد أحالت الزهراء الى نفسها (المتكلم) إذ يتعلق المفعول المطلق بفعل محذوف وجوباً تقديره (أسبح) والمخاطب أحيل عليه بالضمير (الواو) في أفتجتمعون، وهي تقصد الغاصبين والموافقين.

فالقصد التواصلي يظهر في سياق النص الدهشة والاستنكار بقولهم الزور إذ وضعوا حديثا لم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائلة: "أفتجتمعون على الغدر اعتلالاً عليه بالزور... وهذا كتاب الله حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً؛ يقول يرثني ويرث ال يعقوب" ويقول" وورث سليمان داود"(الطبرسي، 1992م، 277/1)

فالقوى الإنجازية تكمن في تعبيرها عن التعجب، إذ هو فعل إنجازي مباشر.

والفعل التأثيري الناتج يكمن في رد أبي بكر بعد قولها هذا أن قال "صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت وباتفاق منهم أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك

شهود"(الطبرسي، 1992م، 277/1) وبعد إن أتمّ كلامه جاعلا الأمر في أعناق الحاضرين (وباتفاق منهم أخذت) ولم يعترضوا.

ومن التعبيرات عن الألم قولها (ع) " هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، الا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين"(الطبرسي، 1992م، 265/1) فالفعل الإنجازي المباشر: هو التعبير عن ألم الفقد للنبي، وغصب الخلافة ومباشرتهم إلى ترويج البيعة، اما الفعل الانجازي غير مباشر فهو الذم لهم

أما الفعل التأثيري، فهو الحث على الرجوع عما هم عليه من السكوت والخذلان، ليتراجع الغاصبين والظالمين عما فعلوه.

5- الإعلانيات التصريحات

وقد عرفت الإعلانيات بـ" أفعال كلام إنجاز نجاحها حيث تطابق المحتوى والواقع" (الطبرسي، 1992م، 265/1) وتنشئ هذه الأفعال أحداثاً إذ يتطابق المحتوى القصوى فيها للعالم الخارجي(نحله، 2002، 80)، ولا تحتاج الى شرط الإخلاص.

وتشمل الإعلانيات مجموعة أفعال نحو البيع والشراء والإجارة والوصية، والهبة، والزواج والطلاق (الطبرسي، 1992م،265/1)

ومن الإعلانيات الواردة في الخطبة

1- الادعاءات والقرارات

يمكن أن نجدها في قولها (ع) "فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون؟! وكتاب الله بين أظهركم... وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟! بئس للظالمين بدلاً، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (الطبرسي، 1992م، /272-273)

فعل القول هو قولها (ع) "وقد خلفتموه وراء ظهوركم " أي القرآن الكريم فلم يتبعوه

فالقوة الانجازية مباشرة بإصدار الحكم بقولها " بئس للظالمين بدلاً" اذ بينت تخلفهم وعدم اتباعهم كتاب الله، وبذلك خرجوا عن الإسلام ولن يقبل منهم أي عمل والجزاء هو الخسران، لذلك كان الفعل الكلامي الانعكاسي مباشراً والمتكلم فيه هو الزهراء (ع) والمخاطب هم المستمعون آنذاك، والغرض منها بيان تخلفهم وعدم اتباعهم لأحكام القرآن الكريم وبذلك خرجوا عن الاسلام، فهم بفعلتهم هذه لا يتخذون من الإسلام ديناً.

- أفعال الرأي والاعتقاد

قولها (ع) "ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونحوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد" (الطبرسي، 1992م، /272-273)

فقولها أخلدتم الى الخفض أي إلى السعة، أما دسعتم الذى تسوغتم، فهو إشارة الى جحودهم ونكرانهم

ففعل القول هو قولها (ع) (وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض) والفعل القضوي يتمثل بفعل الإحالة للمتكلم الضمير في (أرى) يحيل الى الزهراء (ع) أما المخاطب فهو الضمير المتصل في (اخلدتم) أي (أنتم الأنصار).

والعبارة هي فعل القول (أرى قد أخلدتم الى الخفض) وهو جملة فعلية فعلها مضارع (أرى) والقصد التواصلي توجيه الزهراء (ع) بالعبارة الى المخاطبين وكان السياق سياق ذم لهم عندما أخلدوا إلى الراحة والدعة.

والفعل الإنجازي هو إنجاز فعل الرأي بأن رأت الزهراء (ع) تخلفهم عن نصرتها بسبب السعة التي حلت عليهم، فغدروا بها فكان الفعل الكلامي مباشراً.

والفعل التأثيري هو اقتناع المخاطب برؤية الزهراء لهم بميلهم عن جادة الصواب وإبعادهم لمن هو أحق بالخلافة.

الخاتمة

انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج التي منها:

1- كان البعد التداولي واضحاً جلياً في الخطبة الفدكية فقد ضمت الخطبة الأبعاد التداولية كافة، وقد خصصناها بالأفعال الكلامية.

2- كان للسياق إسهام واضح في إبراز مقاصد الزهراء (ع).

3- إن الزهراء (ع) قد عمدت إلى علم البيان من تشبيهات وتمثيلات حسية لتقرب الحقيقة، وتثبتها لتؤثر في السامعين فقد كان تصويرها للأحداث دقيقاً جداً ملقية الحجة عليهم، فلم تدع مجالاً للشك في نفوسهم.

4- وقد برز الفعل التأثيري وذلك إذ توتر الجو مع البكاء، وأحرجت الغاصبين واستجوبتهم.

5- كانت التعبيريات (الافصاحيات) والطلبيات طاغيتين على سائر الأفعال الكلامية مع حضور الاخباريات والإعلاميات والالتزاميات.

6- كان الفعل الكلامي الإنجازي مطابقاً لشرط الإخلاص؛ وذلك لأنها صادرة عن الذات الصادقة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين بحديث الرسول (ص).

7- كانت الأفعال الكلامية أغلبها مباشرة في قوتها الإنجازية. أما غير المباشرة فكانت قليلة، وربما يعود ذلك الى طبيعة الخطاب والمقام.

8- برزت الأفعال الإنجازية في الخطبة بشكل واضح.

9- تأكد لنا في البحث ما ذهب إليه سيرل، أنه" ليس من الضرورة أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما".

فعندما خطبت الزهراء(ع) نجحت في إثارة مشاعر الحاضرين، وزعزعت سلطة الغاصبين باحتجاجها، إلا أن المسلمين قد تخاذلوا في نصرتها، وربما يعود ذلك إلى أمرين،(الأول) ما فعله في الردّ على الزهراء، فلم يكن مهاجما، بل كان

مستعطفاً للزهراء (ع) مستمعاً لها قائلاً بأن هذا قرار المسلمين، ولم يكن قراره، و(الثاني) أنه قد بُذل للمسلمين في العطاء، فلذلك خنعوا وضعفوا عن نصرتها (عليها السلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

محمد وآله الطيبين الطاهرين

المصادر

1. ابن الخباز. (1991). الغرّة المخفية في شرح الألفية (تحقيق حامد محمد العبدلي). مطبعة العاني، بغداد.

2. ابن منظور. (1982). لسان العرب (ط. 1). دار صادر.

3. أفاية، محمد نور الدين. (1998). الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس (ط. 2). أفريقيا الشرق.

4. الأميني، إبراهيم. (2004). فاطمة الزهراء (ع) المرأة النموذجية في الإسلام (ترجمة علي جمال الحسيني). قم - إيران.

5. أوستين. (1991). نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق.

6. بعطيش، يحيى. (2011). الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو. ضمن: حافظ إسماعيل عليوي (إعداد وتقديم)، التداوليات علم استعمال اللغة. عالم الكتب الحديث.

7. بلانشيه، فيليب. (2007). التداولية من أوستين إلى غوفمان (ترجمة صابر الحباشة). دار الحوار للنشر والتوزيع.

8. حمادي، حسن أحمد. (2005). فدك هبة النبوة (ط. 1). دار الولاء.

9. السمعاني، أبو المظفر. (1997). قواطع الأدلة في الأصول (تحقيق إسماعيل الشافعي). دار الكتب العلمية.

10. الشاوش محمد. (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص. المؤسسة العربية للتوزيع.

11. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية (ط. 1). داري الكتب الوطنية، بنغازي.

12. الطاهر ابن عاشور، محمد. (1984). تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع.

13. الطبرسي. (1992). الاحتجاج (إشراف جعفر السبحاني، تحقيق إبراهيم البهادري، حميد هادي به). انتشارات أسوة - إيران.

14. الطبطبائي، سيد هاشم. (1994). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين. مطبوعات جامدة.

15. فان ديك. (2000). النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق.

16. ليتش، جيوفرس. (2013). مبادئ التداولية (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق.

17. المجلسي، محمد باقر. (2001). بحار الأنوار (تحقيق لفيف من العلماء). دار التعارف للمطبوعات.

18. مفتاح، محمد. (د.ت). الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. دار التنوير.

19. ميلاد، خالد. (2001). الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: دراسة نحوية تداولية (ط. 1). كلية الآداب جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع.

20. نحله، محمود أحمد. (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية.